

باب المناظرة والمراسلة

(مطالب مسلمي روسيا من دولتهم)

آلف الشيخ رضا الدين بن فخر الدين أحد أكبر علماء المسلمين في روسيا والعضو في المحكمة الشرعية هناك سابقاً - رسالة أبان فيها رأيه في مطالب مسلمي روسيا من حكومتهم

قال : يظهر من قراءة بعض الأوراق المطبوعة وغير المطبوعة وعمما يسمع من أفواه الكثيرين - ان مطالب قومنا المهمة عبارة عما يأتي :

(١) استرداد الحقوق الواسعة التي منحتها الامبراطورة « كاترينا » الثانية للجمعية الشرعية (أو المحكمة الشرعية) في سنة (١٧٨٧) م

(٢) اخراج المدارس الاسلامية من تحت ادارة نظارة المعارف العمومية الروسية وجعلها تحت نظارة الجمعية الشرعية التابعة الآن لنظارة الداخلية

(٣) مساواة المسلمين القاطنين في روسيا للروس الاثوذكس في الحقوق المدنية والمسكرية كافة بلا استثناء

(٤) مساواة علماء الاسلام الرسميين في الامتيازات للروحانيين المسيحيين

(٥) إلغاء جعل معرفة اللغة الروسية شرطاً في تعيين أئمة المساجد وأعضاء

الجمعية الشرعية

(٦) الحرية في الدين والمناظرة مع المتحذكين بالمسلمين وحرية الصحافة

(٧) ابقاء فصل الخصومات المتعلقة بالامور الشخصية كالنكاح والطلاق

وتقسيم التركات والوصايا وما إليها من الخصومات الماثلية كما كان في الزمن السابق بإيدي علماء المسلمين أنفسهم دون تحويلها الى المحاكم المدنية

ثم أفاض الكاتب في بيان رأيه في هذه المواد (ماعدنا المادتين الثالثة والسابعة) فأثرنا ان نترجم كلامه على المواد الخامسة والسادسة والثامنة لما فيها من الفوائد

وأما كلامه في بقية المواد فهو في الغالب مخصص بانشورون الداخلية البعثة ولهذا اغفلنا ترجمته . قال حفظه الله :

﴿ الكلام على المادة الخامسة ﴾

لا يحسن بنا ان نحكم بضرر اشتراط تعلم اللغة الروسية لأئمة المساجد وأعضاء الجمعية الشرعية أو بنفعه الأبعد انما النظر في حالتنا الحاضرة . اذا ظلت مدارسنا الدينية على ما هي عليه من الخلل ودامت حال المتعلمين فيها على ما هي عليه من الفوضى والفاقة فهو خار البتة . لأن الحالة الراهنة تقضي عليهم بان يرتادوا من تعلمون منه اللغة الروسية مبتدئين من «ألفباها» بعد ان قضوا أعواما كثيرة في زوايا المدارس الاسلامية وناهزوا سن الكهولة ومعظم أولئك المتعلمين لا يقصون لهم نصيب ذات يدم ان يظفروا بعلم متعل بالفصائل والآداب . فيضطرون الى اختيار المعلمين السفلين في أخلاقهم وآدابهم باجور زهيدة . فيتلقون منهم فنونا من الجهل مع يسير من العلم

ثم ترى فئة من أولئك المتعلمين الذين قضوا سن الشباب بالفتنة والاستقامة هادئين متسكين عما يخل بأدبهم يقصدون تعلم اللغة المذكورة القرى الروسية أو المدن . فيتفق لهم ان يروا هناك مجالس الفسق ومحلات الفجور لأول مرة من حياتهم فهم وان قدعوا نفوسهم مرة أو مرتين عن الدخول في غمار تلك المجالس يقعون في مواربها في المرة الثالثة لا محالة . فينتشر بهذه الوسطة داء فساد الاخلاق بين المتعلمين وينهدم ببيان تفنهم . وما ذلك الضمير في الارادة والخور في العزيمة الا من نقصان تربيتنا المدرسية ووهنها لاننا نربي التلاميذ تربية تجعلهم يحتمون عن الرذائل لكونها مضادة للكمال الانساني ومرضاة الله واهب الكمالات وانما تربيتهم تربية تجعلهم لا يأتون المنكرات تخافة من الناس لا غير

نجد بين المتعلمين في مدارس الحكومة الروسية كثيرين يحبون شرب المسكرات وتناول الدخان . وأما المتعلمون منافي المدارس الدينية فيقال ان الأعداء فيهم قليلون جداً في هذه الايام . فهذه جهة الضرر . وأما اذا نظرنا الى حاجة من يسكن هذه البلاد في قضاء حاجاتهم الماشية وحفظ حقوقهم الخصوصية والقومية الى اللغة الروسية - لغة الأمة الحاكمة - فاننا نقول : بنفع اشتراط تعلمها للأئمة أيضا ننما عظمياً . هذا رأي في أئمة المساجد واما رأيي في اعضاء الجمعية الشرعية فكما يأتي :

لا يزال خير ما للجمعية الشرعية والمسلمين من عضوية من ليست لهم فهم
راسخة في العلوم الاسلامية مع قصر باعهم في الفقه الروسية وقوانين الحكومة . بل
يتحتم ان يكون الاعضاء فيها لهم براعة في العلوم الاسلامية وفي لغة الحكومة وقوانينها .
وما اشترطت لهم الحكومة من درجة العلم في المدارس الرسمية ليس بشيء
في جنب ما أحب ان يكونوا عليه .

يجب ان تكون مقاماتهم في العلوم الاسلامية مقامات المجتهدين والاجتهاد
الاصطلاحي . والاجتهاد القنوي فقط . درجة الاجتهاد يجب علينا ان نشترطها من
عند أنفسنا ولولم نشترطها الحكومة لأن ذلك يعود على أمتنا بمنافع جمة ما بين دينية
 واجتماعية . أما منافع الدينية فظاهرة . وأما النفع الاجتماعي العظيم فهو ان كون
قضائنا بهذه المثابة من الاقدار يجعل لهم مكانة سامية في نظر الحكومة و يكون سبباً
لبقاء فصل الخصومات العائلية التي أتى ذكرها في المادة الثامنة من مطالب الأمة -
بأيدي علائقنا وبقاء جمعيتنا الشرعية الى ما شاء الله .

كأنني بقائل يقول : هل يمكن ظهور المجتهدين من بيننا ؟

فأقول في جواب هذا السؤال : نعم لا يوجد اليوم فينا مجتهدون ويستبعد
الناظر في حالتنا الحاضرة ظهورهم في المستقبل القريب أيضاً . بيدانه اذا انتظمت
مدارسنا ودرست فيها العلوم النافعة من كتب أصحاب العلوم الحقيقية بدل هذه
الكتب السخيفة فلا مانع - في رأيي - من ظهور المجتهدين بيننا

لا يشترط الاجتهاد الاسلامي تلك الشروط التي تشترط في ترشيح المرء لأن
يكون رئيساً أو مدعياً عمومياً أو عضواً أو محامياً في الحاكم الكبيرة في أوروبا وفي روسيا
رعى اليوم بن الروس الذين لا يفوقون المسلمين الساكنين في هذه البلاد
بشيء من الذكاء الفطري والاستعداد الطبيعي الوفاً يساؤون المجتهدين في المذهب
بل المجتهدين المطلقين في علومهم وبراعتهم في الفقه (علم الحقوق) والقوانين الوضعية
فكيف يمتنع اذا ظهور مئة أو خمسين مجتهداً من بين مسلمي روسيا الذين ينيف
عدهم على ١٥ مليوناً اذا سموا له سميه وأنوا البيوت من أبوابها !
اذا نحن أخذنا الى الارض ورضينا بالجمود على هذه الحالة الوضعية فحرام

علينا ان نعد أنفسنا من نوع الانسان الذي فطر على ان يترقى دائماً مع الزمان .
 أنا أعلم ان كلامي هذا يحفظ قلوب كثير من الجامدين فيبذونني بالجهل والمروق
 عن دائرة الادب مع الاثمة السالفين ويقولون البتة : « ما لهذا الجاهل الضال
 قد حط من قدر الاجتهاد ونجراً على القول بإمكان ظهور المجتهدين في هذا الزمان .
 أما سمع هذا المتهور خير اقتضاء عصر الاجتهاد وانفلاق باب من مذقرون كثيرة »
 غير اني أقول هؤلاء : اني لم أكتب ما كتبت لفتني عن مباحث الاجتهاد وخبر
 انفلاق باب عند بعضهم . بل كتبه بعد ان بحثت وأدمنت الفكري هذه المباحث
 زمناً طويلاً حتى هداني البحث والتنقيب الى معرفة منجبري فكرة « انفلاق
 باب الاجتهاد » والاسباب التي حملتهم على افتجارها والمصور التي ظهرت فيها
 تلك الفكرة السيئة

رحفت النار الى بغداد فدمروها تدميراً وقتلوا العلماء تقبيلاً وأبادوا الآثار
 العظيمة الشاهدة بعظمة المسلمين السابقين . وفعل الاسبانون الافةيل بالمسلمين
 وساموهم سوء العذاب في جزيرة الاندلس . اضر هؤلاء المتوحشون بالبلاد الاسلامية
 والمسلمين اضراراً مادية جسيمة . لكن اضرارهم المعنوية لا يقيم لها وزن امام
 الاضرار التي ائجها شيوع فكرة « انفلاق باب الاجتهاد وامتناع بلوغ الاخلاف
 شأوا الاسلاف في الكمال والعلم » بين المسلمين

لم تمكن فكرة « انفلاق باب الاجتهاد والارتقاء في نفوس المسلمين حتى
 فترت الرغبات في العلم وتقاعدت الهمم عن الارتقاء والتقدم فانشأوا يتدارسون السفسف
 بدل الفضائل ويشتملون بالاهام اليونانية بدل العلوم الحقيقية . وبالجملة ان
 الحسائر التي جرت الى المسلمين « فكرة انفلاق باب الاجتهاد » أكثر وافظع من
 الحسائر التي ائتهم على أيدي « جنكيز » و « هولاكو » و « ايزابلا » واضرابهم
 من المتوحشين المنفدين .

ولهذا أعقد انا اذا قضينا على الفوضى السائدة في مدارسنا وأدخلنا فيها
 العلوم الحقيقية وأفرغنا كنانة جهدنا في نشر الترية الاسلامية الصحيحة ظهر فينا
 المجتهدون بكثرة ان شاء الله اذ الاجتهاد أمر كسي مرتبط بالاسباب الظاهرة التي

تناها الأيدي . ثم ان سنة الارتقاء التي تجري عليها شؤون العوالم كلها بتقدير العزيز العليم تقضي ان يكون كل شيء أكل وأرقى مما قبله . نرى اليوم الأم الراقية الحية يبنون كل شؤونهم على تلك السنة الثابتة فيسيرون سيرا حثيثاً في مدارج الرقى وصراقي الكمال . أما المسلمون فنحن بينهم منذ زمن بعيد انكار سنة الارتقاء واعتقاد سبر العالم الى التذلي والأخطاط فرغوا الضمة والجرود حتى حقت عليهم كلمة الذل والموان

لعل اختتام النبوة أيضاً مبني على تلك السنة (سنة الارتقاء) . كانت الأم السالفة لتقصان مداركهم وعدم اكتمالهم في المزايا الانسانية يضلون عن الشرائع التي كانت الانبياء يبلغها اليهم ويمجدون عن صراط الله السوي بعد مضي أزمنة يسيرة من عهد الانبياء

فكان الله عز وجل يبعث اليهم من يقوم لهم أود الدين ويهديهم الى الحق المبين من الانبياء الآخرين . واما الأم الذين يأتون بعد نبينا (ص) فيكونون قد ارتقوا في المدارك واكملوا في الخواص الانسانية حتى يستطيعوا بذلك حفظ الشريعة المطهرة وبلغوها الى من بعدهم بلا تحريف ولا تبديل . فلا تبقى حاجة الى ارسال من يحدد الدين بعد خاتم النبيين . فبناءً على ما ذكرنا ينبغي أن يكون المجتهدون واساطين الاسلام أكثر وأبرع من المجتهدين السابقين كلما خطا المجتمع الانساني خطوة الى الامام

وأما نعلم اعضاء المحكمة الشرعية اللغة الروسية فما اشترطته لهم الحكومة قليل جداً في رأيي . بل يتضم على من يترشحون للمضوية في تلك المحكمة ان يحضروا دروس علم الحقوق ولو بصفة المستمعين في « جامعات » الحكومة بعد ان يمتحنوا في دروس المدارس البلدية أو مدارس المسلمين . لا ينبغي على أهل البصر ان قوة المحكمة الشرعية وسوء مكائنها لدى المحاكم التي فوقها وارتفاع شأنها في أعين المسلمين التابعين لها ليست هي كل بنائها الشامع وتنوع الاشجار في الحديقة الحافظة بها . بل لا تتحقق تلك الاماني السامية الا اذا كانت اعضاؤها والقضاة فيها من أهل القدرة على القيام بواجبهم حتى القيام . ثم اذا نسى لهم

التعارف رجال الحكومة العظام ؛ بل منهم ان يخدموا المسلمين خدماً جليلة .
 أشفال المحكمة الشرعية مرتبطة اليوم بسائر المحاكم المدنية أشد الارتباط . وبزيد
 هذا الارتباط عاماً بعد عام . قد تحدث في المحكمة مشاكل لا يمكن حلها الا
 بمقابلة أولي الأمر ومحادثتهم . وحياتاً تستقي المحاكم الكبيرة من قضاة المحكمة
 الشرعية في بعض المسائل الفقيهية . وكذلك قد يقصد المحكمة أربح المحاميين ليرجعوا
 الى القضاة في بعض الجهات

وتكون كتابات هؤلاء على غاية من الاجاز والنظام قلما يفهمها حتى الفهم
 الا أهل البصر في الامور القضائية والشؤون القانونية فيبقى المصو الجاهل باللغة
 الروسية في حيرة واضطراب في مثل هذه الظروف

ثم أن المصو الذي لا يعرف اللغة الروسية لا يكون على بصيرة في توقيعه على
 الاوراق الرسمية التي ترد الى المحكمة من المحاكم الاخرى الكبيرة . اذ هو جاهل
 بما في تلك الاوراق من اقسام القوانين ونودها التي بنيت عليها أحكام النصب
 والنزل وغيرها . فيكون مثل هذا المصو كمثل « آلة صماء » يبد من بشوا بتلك
 الاوراق من الموظفين الروسين

لو كان الائمة أبو يوسف ومحمد وزفر أصحاب الامام أبي حنيفة في وظيفة
 القضاء في محكمتنا الشرعية لناهم أيضاً ما ينوب كل يوم قضائنا الجاهلين باللغة
 الروسية وقوانين الحكومة من المشاكل والمصاعب

ارضيكم أن يكون القضاء في محكمة هي محط آمال أربعة ملايين من المسلمين -
 آلات صماء تديرها أيدي الآخرين كيفما شاءوا أم تمنون أن يكونوا من أهل
 البصر بأمرهم يذوبون عن مصالح قومهم بقوة جنان وثبات جاش ؟
 ابروةكم ان يوقعوا على كل ورقة مهما كانت محتوياتها أم تجبون أن يكونوا
 من أهل القدرة على المناقشة في كل الاوراق التي يرتابون في أمرها ؟ بأن يقولوا
 مثلاً : هذا الحكم مبني على كذا من المادة القانونية وهي قد نسخت في كذا
 من الزمن . فبناء الحكم على تلك المادة لا يجوز بل ينبغي أن يبني على مادة كذا
 وما شابه ذلك من المناقشات التي لا يستطيعها الا من برز في اللغة الروسية وقتل النوانين

الوضعية علمياً وفيها

ولسائل أن يسألني هنا : هل يمكننا ان نربي اناسا يكونون مجتهدين في العلوم
الاسلامية وبارعين في علم الحقوق الوضعية جميعاً ؟
فأجيب عن هذا السؤال بجوابين متناقضين : اذا اجلت طرفي في ما عليه علمائونا
الذين ألقى اليهم زمام تربية الامة وترقية شؤونها من الجمود والفنلة وسميهم لموقلة
المصلحين ودوامهم على بث الافكار المناقضة لمصالح الامة الحاضرة والمستقبل
وجعلهم بالمرّة لاسرار الحياة وثنازع البقاء وعلم الاجتماع البشري - اجبت عن السؤال
السابق قائلان هذا محال أي محال وأما اذا فكرت في استمداد قومنا القوي وثقاني
بعض شباننا في طلب العلم باحتمال المشاق الجمّة وجود أغنيائنا باقتسأموهم
في سبيل الخيرات والمشروعات النافعة اجبت عن ذلك السؤال قائلان : إن هذا ممكن
أي ممكن ولنا رأي في كيفية الوصول الى هذا المقصد الاقصى ربما شرحناه في
المتقبل ان شاء الله

(الكلام على المادة السادسة)

يقال ان ما جاء في هذه المادة من المطالب طمّح نظر كثير من الاقوام الآخرين
القاطنين في البلاد الروسية . لعل أولئك الاقوام الذين هم يفوقونا في كل الشؤون
الجبرية يناولون هذه المقاصد قبلنا

وأما نحن فلنا الآن على استمداد لطلب تلك المطالب السياسية العظيمة
بالانفراد وما علينا الآن الا أن نهبأ « الاصطياذ في الماء العكر » (هذه الرسالة
كتبت منذ سنتين إذ كان مسلمو روسيا هادئين وادعين غائبين في سباتهم العميق
انتقاداً على ما أتى في اللأهتئين اللتين وضعهما علماء مدينتي أورنبورغ وسعيد وبشوا
بهما الى مؤلف الرسالة يسألونه إبداء رأيه فيها)

وأما حرية المناظرة بخصوصها فأقول فيها : ان حرية المناظرة تنفع المسلمين
نعماً عظيماً وهذا لا ريب فيه . غير ان المناظرة لها أصول وشروط لا تأتي المناظرة
بالتأئدة المطلوبة الا بها . وما شروطها الا كون المتصدي للمناظرة يكون على أهبة
تامة ومطلماً على ما يبد خصمه من الحجج وقوتها . ليست مقاومة الخصوم المتسالمين

بالعلوم الحديثة بالنظريات المسطورة في المواقف والمقاصد والطوائع والمطالع والتجديد والتجريد الا ضرباً من التهور والتهور

ولا يخفى على الباحث المنصف ان الكتب المذكورة تحتوي على كثير من الفلطات الفلسفية والتاريخية الناشئة من خطأ المترجمين اللاتينيين واليهود الذين ترجموا فلسفة اليونان . وتلك الفلطات تكون عوناً لخصومنا علينا لاجلها . لا يجوز البتة ان تتعجب من ان خصومنا عبارة عن بعض القسيس الروسيين المعروفين بتحككمهم بالمسلمين . ان هؤلاء الاطلاع جيش المدعو . وأما الجيش الاصلي فهو يتألف من أناس آخرين منضامين من فنون العلم وحاذقين في اساليب المناظرة وطرق الإلزام . قام الامام الشيخ محمد عبده في وجه المعارضين للاسلام في السنين السابقة بنفسه فاضطر الى جدال طويل قاومه فيه خصومه اشد المقاومة مع ان براعة هذا الامام في العلوم الاسلامية ومكانته في الفلسفة وعلم الكلام اعلى بكثير من مكاتة التفاضلاني والدواني واضر اهما وهو مع ذلك مطلع على آراء الفلاسفة الغربيين مباشرة لمعرفة باللغة الفرنسية . يقال ان ظهوره على خصومه انما كان بسبب معرفته هذه اللغة (هذه الرسالة كتبت قبل وفاة الاستاذ الامام)

لاتظن أيها القاريء لما قلت لك ان خصومنا يستظفرون علينا بالعلوم الحديثة . اني اذهب الى مضادة هذه العلوم للدين الاسلامي . انا لا أقول بهذا . كون الاسلام مجاهداً للعلوم وملائماً للهدية الصحيحة ثابت بشهادة جم غفير من الفلاسفة والعلماء الراسخين أيضاً بعد ثبوته في نفسه . غير اني أقول : لا يمدد أن يستفيد خصومنا من جهلنا في المناظرة الدينية ايضاً كما انهم يستفيدون منه كثيراً في الشؤون المختلفة الاخرى . اذ هم لبراعتهم في اساليب المناظرة واطلاعهم على ما نحن غافلون عنه بعد يقدرون على ابراز ما يكون حجة عليهم في صورة الحجة لهم . وجملة القول : اننا لا يمكننا أن نتفهم بجزية المناظرة انفاعاً يدكر ما دما غافلين عن اسرار الكون ومن الطبيعة ومعرضين عن تحصيل الطبيعيات والعلوم الحديثة بأسرها (للرسالة بقية)

مترجمها

موسى عبد الله القرآني

حجج كلام فريد أفندي وجددي في الدين

﴿ وفلسفة التشريع ﴾

كتب محمد فريد أفندي وجددي صاحب مجلة الحياة منذ أشهر مقالة في بعض الجرائد اليومية قال فيها أنه سينشئ مدرسة يدرس فيها العلوم الطيا من كونية واجتماعية وعمراية ومن ذلك جميع العلوم الطبيعية والفلسفية بأنواعها الخ أي أنه سيقوم وحده بما تريد لجنة (الجامعة المصرية) ان تبدأ به وتري ما للبهامان مال الا ككتاب وهو عشرات الألوف من الجنيهات وما وقف على الجامعة من الاطيان لا يزال غير كاف للشروع في هذا القسم العالي ، ولكن فريد أفندي وجددي سخي بانوعود وقد تبرع له سيد أفندي محمد صاحب المدرسة التحضيرية بحجرة من مدرسته وفي بها وعده فهذه الحجرة هي مدرسة العلوم الطيا . وقد شرع فريد أفندي في إلقاء الدروس فيها ونشر الدرس الاول من علم فلسفة التشريع في جريدة المؤيد ثم في مجلته فتذكرنا بقراءته تلك المقالات التي كان ينشرها في المؤيد عن الاسلام اذ جاء فيه بمثل ما جاء فيها من أمور تعزى الى الاسلام وهو لا يعرفها وفلسفة فيه لا يرضاها . وكان خطر لنا أن نتقذ تلك المقالات قياما بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن عرض لنا أمور ثبتت عزمنا عن ذلك منها الرغبة عن انتقاد فريد أفندي لادائه ولأنه صاحب مجلة ولا نحب أن يكون بين أصحاب المجلات مثل ما بين أصحاب الجرائد من المناقشات التي لا يؤمن أن تصير من قبيل المراء والمشاغبة . تركنا الرد على ما جاء في تلك المقالات من مخالفة أصول الدين والنفس نحاسنا على ما فرطنا وتسنذر عن تفریطها بان تقع خطأ الناس والرد عليه غاية لاندرك ولا يستطيع القيام بها واحد وهو من فروض الكفايات ولكنها ليست مطمئنة بأن هذا المنذر يرضي الله تعالى مع ما ترى من سكوت العلماء في هذا المنصر عن انكار المنكر ثم عرض لنا مثل هذا عند ما قرأنا درس فلسفة التشريع وإن كان الخطأ فيه دون الخطأ في تلك ثم جزمنا بأن الانتقاد واجب علينا فإدرانا الى كتابة هذا النقد فمسي أن ينظر فيه وصفتنا فريد أفندي بين الانصاف

في هذا الدرس أو المقالة كثير من الامور المنتقدة وأهمها عندنا ما قاله في «التشريع» وكون الوحي هو أصل الشريعة عند المسلمين . وقبل البحث فيها نقول كلمة لا يد منها في انتقاد عبارة فريد أفندي وهي أن القاري لها لا يكاد يفهم منها معنى عمروا بجزم بأنه هو مذهب الكتاب ومراده بل يجد فيها من التعارض والابهام والصلابة ما لا يجزم معه بالمعنى المراد . ومثل هذا مما يتسر تقدمه ويسهل الجدول والمراء فيه ولم أذكر هذا إلا لأن الضرورة قصت بذكره كما ستعلم

بدأ المدرس المقال بقوله «لم يعترف المسلمون في الصدر الاول بشيء بعد تقرير الاصول الدينية بقدر ما اعتنوا بالامور التشريعية» وفيه ان المسلمين لم يكن عندهم شيء يبرهنه بالامور التشريعية غير ما شرعه الله لهم من الدين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (١٨:٤٥) ثم جعلناك على شريعة من الامم فانبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) وفريد أفندي جعل المسلمين شارعين وقدك قال بعد ما تقدم «ثم لما اتسع نطاق العمران واستدعت الاحوال تدوين شريعة شاملة لجميع الاصول والفروع اقتضت الحاجة ان ينبغ الشرعون الاولون من المسلمين كالأوزاعي والشعبي وسعيد بن المسيب وابي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد» الخ ثم قال «فاختلف المشرعون الاولون» وقال «فظلوا يشغلون بأمر التشريع والتفتين» وقال «فاستحال امر التشريعين» والصواب أن هؤلاء لم يكونوا الارواة للحديث ومستنبطين منه ومن الكتاب أي مبينين ما يفهمونه منها للناس وناقل الشريعة ومفسرها لا يسمى شارعا (ولا مشرعا كما تقول الجرائد الآن) وإنما الشارح والمشرع (أو المشرع) هو واضع الشريعة و يطلق الشارح في كتب المسلمين على الله تعالى لأنه واضع الشرع وعلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه مبين عن الله تعالى ولم يعرف الا منه . نعم يصح استعمال هذه الالفاظ في غير هذه الممانى لانه لا سيما لفظ التشريع فإنه يستعمل عند علماء الفنون العربية اسما لنوع من محسنات البديع ولكن الموضوع ليس لغويا وإنما الكلام في الشرع الاسلامي فينبغي فيه اتباع اصطلاح أهله المأخوذ من القرآن إلا أن يخرج المتكلم عن صراطهم ويجعل الشرع من وضع البشر

قال فريد افندي في الأئمة الذين تقدم ذكرهم « فظنوا يشتغلون بأمر التشريع والتفتين ويقعدون لذلك النورس الحافلة حتى جاء القرن الثالث وكان قد طرأ ضعف في أمر الحكومة انتقلت به الى شكل حكومة مطلقة مستبدة بعد أن كانت شوروية دستورية... فاستحال أمر المشرعين الاسلاميين الى حفظه أقوال المتقدمين وبطل الاجتهاد لعدم نبوغ العلماء الضليعين وأصبح رجال العلم نبأ رجال السياسة في الاهواء والميول فتوالى الضعف على هيبتهم شيئاً فشيئاً حتى تولاهم العجز بأخص معانيه فاصطلحوا على عدد من الكتب يقرؤها ويفهمون عباراتها بدون تفهم ولا محاسبة وصار هذا معنى الدين والتمسك بالسنة في نظرهم »

أقول يفهم من قوله السابق « ثم لما اتسع نطاق العمران » الخ وقوله هذا ان تدوين الشريعة أو التشريع على رأيه قد كمل في وقت اتساع العمران قبل تحول الحكومة من الشورى الى الاستبداد . ونحن نعلم أنه لم يدرك حكومة الشورى من أولئك الفقهاء أو المشرعين على رأيه الاسيد بن المسيب لأنه تابعي ولد في خلافة عمر وهو لم يدون شيئاً والباقرن كاتواني زمن بني أمية وبني العباس وحكوماتهما استبدادية بلا نزاع على ان العمران كان في زمنها أكثرهما . ثم ان علماء القرن الثالث لم يكونوا كأد كمر بل ولا القرن الرابع ولا القرن الخامس فالفتنة ما اتسع نطاقه الا في هذه القرون وان كان الفضل للمتقدم ولعلنا نبين ذلك ان ما دارنا فيه ممار

ثم قال فريدا فندي « نحن في هذا الدرس سنعمل على فهم ما هي الشريعة في الاصطلاح الاجتماعي وكيف تكونت الشرائع في مدى التاريخ وكيف توتت أصولها حتى وصلت الى أرقى ما وصلت اليه اليوم وكيف تكونت الشريعة الاسلامية القرآنية وما مكانها من بين سائر الشرائع وما معنى كونها خاتمة الشرائع وما ذا هو الاجتهاد وكيف حصل الاستنباط الخ ولنا في كل مبحث من هذه المباحث كلام في فلسفة الموضوع الذي نشكل عليه وآخر ما انتهى الرأي اليه وتطبيق ذلك على روح القرآن واظهار اعجاز الشريعة الاسلامية من هذه الوجوهات بأصح بيان » اه

ونقول هذه بضمة وعود منصوصة وأشار برمز «أخ» الى وعود أخرى وبني على الوعود وعودا ولم يف بما وعد اذ لم يكن باقي الدرس الا كلاما في المدلل يثلوه كلام في معنى كون أصل الشرائع من الوحي وايراد اعتراضين على ذلك غير واردين والجواب عنها بما لا يدفنها، وكلام في بناء القوانين على الاخلاق وقد ذكرنا هذه الوعود بقول الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في كتابه فريد افندي أنها «مقدمات وعود»

عرّف المدلل بأنه ما أدى اليه العقل من الاحكام وهذا غير صحيح لان الاحكام التي وصل اليها الناس بقولهم منها ما هو عادل ومنها ما هو جائر والمحاكون بها منهم العادل ومنهم الظالم فالعدل أمر آخر لا محل للكلام فيه هنا ولم نذكره لأنه مقصود بالذات وانما ذكرنا لأنه جاء عقبه بما يأتي

« هنا يلزمنا أن ننبه الى موضوع خطير وهو أن متشركي أوروبا عامة يسيئون علماءنا في اعتقادهم بأن أصل الشرائع الوحي ولهم في ذلك علينا مطاعن في غاية الصرامة ونحن هنا لا نناقش لنا من حل هذه الشبهة فنقول : القرآن الكريم توسع في معنى الوحي فلم يقصره على النبيين بل أطلقه على أدنى درجات الانساق الطبيعي الحيواني فقال تعالى (واذا أوحى ربك الى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون) واذا صح اطلاق الوحي على هذا الانساق الفطري الحيواني صح من باب أولى اطلاقه على نتائج العقل الانساني لأن الله خالق كل شيء ، والباعث على كل شيء ، فيكون لا تناهي بين قول متشركي أوروبا بأن الشرائع أصلها العقل وبين قول علماء الاسلام أن أصلها الوحي . اذا لم يقبل العلماء هذا الحل الموافق للكتاب والعلم فقد تعرضوا للشبه لا مخلص لهم منها وهي :

(أولا) لو كان أصل الشرائع الوحي بمعناه السامي أنزلت الشرائع الاولى حاصلة على العدالة بمعناها الخاص والمشاهد بين حوادث التاريخ أن الشرائع بدأت مناسبة لعقل الانسان وسداجته ونقص أخلاقه والله يتنزه عن ذلك (ثانيا) في الارض أم كثيرة في أدنى درجات التوحش ولديها شرائع على حسب مداركها مطابقة في أصولها الاولى لشرائع الجماعات البشرية الاولى فلماذا نحكم

بان شرائع المتوحشين العصر بن هي من تلقاء أنفسهم وتلك الشرائع هي من الوحي مع تشابهها في النقص والسذاجة اه

افتجر فريد افندي لملائنا قولاً لم يقوله ولا قاله أهل مذهب منهم وأورد عليه مطاعن عزاها الى الاوربيين ، ليدافع بكتشف شبهتها عن الاسلام والمسلمين ، فكان دفاعه - لو صح ما يسبق الى الاذهان منه - من قبيل تلك المطاعن أو أشدها

الظاهر من عبارة فريد افندي الذي يفهمه منها انقارى هو ان الوحي أصل كل شريعة وجدت في البشر فكانت قانوناً يحكم بها الناس فيما يختلفون فيه فلي هذا يكون مما يعتقد المسلمون أن الاحكام التي كانت عليها العرب في الجاهلية وكذا غير العرب من الوثنيين - كلها مبنية على أصل الوحي الالهي وأنه لقول ينقضه الاسلام بكتابه وحنثه ومذاهب أئمة تقضاً وإنما يقول المسلمون كافة ان الشرائع التي جاء بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام هي من وحي الله تعالى لا من مخترعات عقولهم كما قال تعالى (٢ : كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)

فاذا كان فريد افندي يريد من عبارته ما يدل عليه ظاهرها وهو ان المسلمين يقولون ان أصول جميع الشرائع كان بوحى من الله حتى شرائع الوثنيين المنحطين في الوثنية أو الذين ارتقوا فيها كقدماء المصريين والكلدانيين والرومانيين ثم يقول ان علماء أوربا يوجهون الينا تلك المطاعن لاجل ذلك فقد أعلمناه أن هذا باطل وزيد على ذلك ان الاوربيين لا ينسبون الينا هنا الاعتقاد ولا يطمنون علينا به . ولو طمنوا لما دفع قولهم لان الوحي لا يصح اطلاقه على نتائج العقول ومآثره الافكار وان صح اطلاقه على الالهام الفطري وان أراد بأصل الشرائع ما يعتقد المسلمون أن النبيين المرسلين جاؤا به عن الله تعالى ودعوا الناس اليه على أنه وحي من الله لا من عند أنفسهم فقد صدق في حكاية اعتقادنا وان علماء أوربا يطمنون علينا بهذا الاعتقاد بل لا يطمنون علينا الا باعتقادنا أن أصل شريعتنا نفسها وحي من الله دون شريعة اليهود مثلاً وحينئذ يكون دفعه لهذه المطاعن بما فسر به الوحي هو عين الهدم لأصل الاسلام

والتكذيب للرسول عليه الصلاة والسلام لأن ما نطق به القرآن وانفقد عليه
الاجماع هو ان الرسول صلى الله عليه وسلم ما جاء بهذه الشريعة من عنده وليست
من نتائج عقله وفكره وانما يقول بهذا من يسكرون الاديان ويدعون أن الانبياء
فلاسفة أخلاق وآداب واجتماع أسندوا فلبثتهم الى الوحي الالهي ليقبلها الناس
ولهذا رجحنا أن الاحتمال الأول هو صواب فريد افندي وعليه يكون مخطئا
في عزوه الى المسلمين مالا يعتقدون والي الافرنج مالا يقولون ، (لان ما نبى على
الفاقد فاسد) وقصر في سكوته عن بيان شبهتهم على شريقتنا وعن دفع هذه
الشبهة وما يورده الترجيح تصريحه بأن الوحي معنى خاصا غير ما فسر به أصل
الشرائع وقد عبر عن هذه الشرائع بالناقصة وانما ذكرنا الاحتمال الثاني لما علمت
ولكن انظر ما يأتي

قال فريد افندي « فان قال قائل قد ثبت شرعا أن أول البشر آدم عليه السلام
وهو نبى بالاجماع وقد ذكر الله أنه أوحى اليه وعلمه فيكون أصل الشرائع الوحي
بالمعنى الخاص . تقول ان صح ان إيحاء الله لآدم كان بالمعنى الخاص ولم يكن
بمعنى الالهام والنفث في الروح من طريق مقتضيات الفطرة الانسانية فان الله
لم يذكر انه أوحى اليه شريعة بل لم يكن الحال يقتضي ذلك في ذلك العهد لقلته
الناس وقربهم من حالة الفطرة » الخ

وتقول انه بعد أن ذكر ان آدم كان نبيا بالاجماع ما كان له أن يرثى في كون وحي
الله له - وقد اعترف بأنه ثابت - من الوحي الخاص لان قبل الوحي الى النحل
فهذه سقطت كبيرة . وقوله ان الحال في عهده لم تكن تقتضي شرعا لما ذكره ظاهر
البطالان فان القليلين يتنازعون ويتخاصمون كالكثيرين فيحتاجون الى من يحكم
بينهم بالحق والعدل وقد ثبت أن أحدا بناء آدم قتل أخاه ولم يمنعه القرب من الفطرة
عن ذلك فاذا تقول فيما دون القتل من أنواع الخصام ؟ ثم ما يدرينا أن آدم عاش عمرا
طويلا كثر الناس فيه فإن طبيعة الأرض كانت في عهده غير طيبة بها الآن فيما يظهر
بل ثبت بالوحي أن نوحا عاش نحو ألف سنة لأن طبيعة الأرض قبل الطوفان كانت
غيرها بده وأمزجة الناس كانت قابلة لذلك على ما هو المرجح عندنا والله أعلم بالصواب

ثم ختم فرید أفندی دوسه بأربع مسائل قال أنه يمكن جعلها نتائج له وهي (١) ان العدالة في الأمة تكون مناسبة لمعاداتها و اخلاقتها و (٢) أن الأمم تكون على النظام الذي تدرك به نفسها . و (٣) أن كل ترق أخلاقي يتبعه ترق تشريعي و (٤) ان الشريعة لا تصل الى أوج كمالها في أمة الا اذا كانت المساواة بين الأفراد بالغة حدها الاقصى أي اذا ترق في الاخلاق لدرجة ان الرجل منها يعتبر غيره نظيره وهذه هي الحالة الوحيدة التي يتخلص فيها العقل من أوهامه الاجتماعية فيواجه الطبيعة الحقة للحوادث و يترك لها زمامه لتقوده الى العدالة المحضة »

(قال) « من هنا يرى الراي كيف ان كل انقلاب حدث في اخلاق أمة يتأدى بطبعه الى انقلاب في شريعته . و يدرك تبعاً لهذا فساد الاحكام و بعدها عن العدالة في بعض الامم المتدينة التي تقرر مبدأ التمايز في أفراد الجمعية فذهب بعضهم حقوقاً تسلبها عن الآخرين باعتبارات دينية

« هنا نستلفت نظر القارى الى أمر خطير يدل في احواله على أن الشريعة الاسلامية هي اعدل الشرائع و أرقاها بحكم أكبر أصل من أصول فلسفة التشريع . وذلك أن هذه الفلسفة تقرر بأن الشريعة لا تصل الى أوج الكمال الا اذا كانت المساواة تامة بين الأفراد . وهذه الشريعة الاسلامية مبناها (انما المؤمنون اخوة) فلم تقرر في أصولها أدنى امتياز لأي طائفة فتكون بهذا الدليل الاجمالي اعدل الشرائع و سعى في التفصيل المعجب المعجب » اه كلام فرید أفندی

أقول لو أحق المتقد هذه الجملة لا يمكنه ان يكتب في انتقادها عدة أوراق و نكتني بذكر المهم عندنا من ذلك وهو ما يتعلق بالشريعة الاسلامية

انه جعل كمال الشريعة تابعاً لكمال الناس في أنفسهم ولما نزلت الشريعة الاسلامية لم يكن الناس الذين أنزلت لأجل الحكم بها بينهم أولاً في ذلك الأوج من الارتقاء فكيف نبى تفضيها على هذا الاصل

ثم من هي الأمة المتدينة التي وصفها بفساد الاحكام و بعدها عن العدالة لتقريرها مبدأ التمايز بين الافراد بالدين ؟ اليهود ليس لهم حكومة و النصراني جعلوا احكامهم مبنية على العقل و شهد هو الأوربيون منهم بالارتقاء العظيم . فهل يعني

بعض الوثنيين ولم لم بشر الى ذلك . وما ذا يقول في مثل جبل الخلافة في قرش
وفي أحكام شهادة غير المسلم على المسلم في الشريعة الاسلامية
وهل الشريعة الاسلامية خاصة عنده بالمؤمنين بها أم يحكم بها بين غير المؤمنين
بها ؟ واذا قال بالثاني فهل أخوة المؤمنين لبعضهم البعض تقتضي مساواتهم لغيرهم
من يحكم بها أم لا ؟ فان اعترف بأنها لا تقتضي ذلك فكيف يتم قوله
ان رأيه في ارتقاء الشريعة ووصولها الى أوج الكمال إنما يصح في القوانين
الوضعية التي ترتقي بارتقاء الواضعين لها في أهمهم وفي أنفسهم . وأما الشريعة
الاسلامية فانها قواعد وأحكام أنزلها الله كاملة لأجل ان يكون ارتقاء الناس
تابعاً لها فكان كمال المؤمنين باتباعهم لها ولم يكن كمالها هي تابعا لكمالهم
هذا ما رأينا ان نبه عليه ونهق الكلام ببيان ان سبب هذا الخطأ وأمناله
فيما يكتبه محمد فريد أفندي وجدي من المباحث الاسلامية هو عدم تلقيه علوم
الدين عن أحد من العارفين به فحسب ان يحمله ما يرى من اتقاد كلامه في الدين
على مدارسة المهتم من علومه والله الموفق

أنا ربنا محمد

صدي مقال المنار في دعوة العلماء الى نصيحة السلاطين

(وشهادة موسى وامبري للاسلام)

ترجم بعض فضلاء الترك مقالنا (حال المسلمين في العالمين ودعوة العلماء
الى نصيحة الامراء والسلاطين) الذي كتبناه في الجزء الخامس من مجلد المنار
التاسع (ص ٢٥٧ م ٩) باللغة التركية وطبعه بالفنئين ووزعه في بلاد كثيرة
فكان له صدى استحسان واعجاب من أصحاب الافكار المستقلة من الترك وغيرهم
كما كبره كثير من كتاب العربية وأظهر واستحسانه في الصحف المنشرة كالقنطف
بصر ومراة الغرب في امريكا الكالية والمناظر في امريكا الجنوبية . وكتب